قصة قصيرة : جائحة طاعون الدولار

حلمي صابر . شعبان ١٤٤٤هـ



المكان : جامعة موزمبيق في استراليا

الزمن : شعبان ١٤٦٧هـ

دخل الأستاذ ربيع بالبالطو الأسود الطويل على طلابه في قاعة المحاضرات في الدور الأرضي من مبنى كلية الحاسب الآلي. كان بالطوهُ معلقا على كتفيه لأنه يكره أن يدخل يديه في أكمامهِ لئلا يقيده شيء. اعتادوا أنه أول ما يدخل القاعة رميه البالطو على الكرسي ويشرع بعد تحيتهم بفكرة المشروعِ الجديد البرمجي . يعرفه طلابه بأنه لا يلتزم بمقرر الكلية ، وهم راضون بذلك ، بل ويعجبُ أكثرهم. لكنَّ أسئلة الاختبارات من الكتاب المقرر . في آخر الفصل الدراسي يشرح لهم المقرر في محاضرتين ؛ لأنه شرحَ لهم المقرَّر بطريقة أخرى. لا يغيبُ أحدٌ من طلابه ، بل يحاول بعض طلاب القاعات الأخرى الهروب إلى قاعته .

بعدما أن رمى البالطو كعادته : اسمعوني جيدا أيها المجانين – ابتسم الطلاب عند مناداتهم بالمجانين لأنه ثناءً عليهم وليس ذما – ما رأيكم أن نقوم بتجربة جديدة في البرمجة الحيوية ؟.

سعيد : نحن دائما تحت أمرك أيها القائد ، رفع الطلاب موافقتهم بإبهامهم إلى الأعلى.

أمرهم بأن يخرجوا ورقة وقلما ليكتبوا ميثاقا ، بأنهم لن يستخدموا التجربة في آلاتِ صرف البنوك الحقيقية .

رفع الطلاب أيديهم نصف ارتفاع ، قال لهم الأستاذ ربيع لا ادري هل يعني ذلك نصف موافقة . لم يدقق كثيرا في الشكليات. لم يكن يعلموا بأنَّ استاذهم ربيع كان يدفعهم لمخالفة الوثيقة . ألتفتَ الأستاذ إلى طارق وأمره أن يعدَّ صياغة الوثيقة لأن مواد طارق الاختيارية في الجامعة من قسم القانون ؛ فطارق أعلمهم بالمسائل القانونية ، لكنه كان أكثرهم مخالفة للأنظمة . هو يدرس القانون ليتعلم كيف يخترقه لا ليطبقه كعادة القانونيين.

ازداد شوق الطلاب إلى معرفة التجربة . كتب طارق الوثيقة ووقَّعَ الطلاب عليها بأقلام الرصاص ليمحوها لاحقا أو يغيرها .

حسنا قال الأستاذ ربيع : ارفعوا بطاقات صرفكم البنكي أو بطاقاتكم البنكية ؟

سألَ الطلابَ : ما هذه البطاقات ؟

أجاب عبد الكريم : مال

وأجاب مصطفى : سرقة

وأجاب همَّام : سيطرة

قاطعهم المعلم : كل إجاباتكم صحيحة لكن ليست الإجابة المطلوبة في الاختبار

طارق : برمجة

المعلم : نعم أحسنت . يلومونني فيك يا طارق . كل منكم يخرج دولارا ويعطيه طارق . هذا نظام المكافآت في القاعة . الدفع أو الخصم من مكافآتهم السابقة. هذا شأن الطلاب في التعامل مع بعضهم البعض كتعامل البنوك المختلفة في المخالصة. لذا هم حريصون على المشاركة في السؤال والجواب والمناقشة.

حسنا قال لهم الأستاذ ربيع ستجيء الآن شركة تصنيع آلات الصرف البنكي التي بموعدها وصلت، وأحضروا معهم آلة الصرف البنكي . شرحَ لهم ممثل التسويق ومهندسها من الشركة المصنعة المشكلة التي يواجهونها مع زبائنهم. حقيقة الأمر ، أنَّ الأستاذ ربيع ذهب إليهم وزارَ مصنعهم ليقنعهم بحل مشكلتهم مجانا في الكلية . سرَّهم ذلك كثيرا ؛ لأنه سيوفرون ألاف الدولارات.

لكن الأمر المخفي الذي لم يعلمه أحد، بأنه قصدَ أن تكون الآلة بين يدي الطلاب ليعرفوا عمليا هندستها وبرمجتها عمليا وليس نظريا. وعدَ الدكتور ربيع المصنعَ أسبوعا لحل مشكلتهم .

آلة الصرفِ بين يدي الطلاب الآن . ودخلوا برمجتها المشفرة ببرامجهم الخاصة التي تفتك بأية برنامج ، فضلا على الصلاحية المسموحة لهم في تغيير نظامها والتجارب عليها.

قال الأستاذ بصوت واطئ وجمع كفيه بين شفتيه: اسمعوني جيدا تجربتنا بأن نوقفَ الماكينة عن قراءة صورة الدولار في آلة الصرف بأنْ ترفضه ولا تعتبره عملة نقدية . الكود هكذا : إذا الصورة صورة دولار بجميع فئاته ، إذن الورقة ليست عملة نقدية ، وبناءً عليه الرفض هو ناتج العملية . فلو طلبتَ دولارا من آلة الصرف فلن تعطيكَ إياه ، أو تقبلهُ.

أكملَ الأستاذ ربيع : إذا طلبتَ دولارا من آلة الصرف ، ستعطيكَ الآلةُ عملةً بديلةً بشرط أنْ تكونَ العملةَ الجديدةَ ساقطةٌ في السوق كدولار دولة موزمبيق أو الجنيه المصري الغارق أو الليرة اللبنانية ، عموما لا أقيدكم بأية عملة . نريد من الآلة أن تعطلَ الدولار وأن تصرف عملة أخرى متدهورة ؟ وسوف نتفقُ على عملة بديلة متدهورة .

هل الواجب واضح ؟ .

هذه آلة الصرف عندكم في القاعة .

كل طالب له ثلاثة فرص ،

ننسخ برنامجه إلى آلة الصرف وسنجرب .

الأستاذ ربيع : موافقون ؟

جميع الطلاب : بالتأكيد

الأستاذ ربيع : لكم أربعة أيام تعالجون المشكلة فرديا جماعيا ، تعرفونني لا أتدخلُ في شؤونكم الخاصة . لكنني سأساعدكم بأن أعطيكم البرنامج الذي صنعته وعليكم أن تغيروا فيه بعض الأكواد حتى يكون عملكم وليس عملي وعليه أعطيكم درجتكم . لكن أنبهكم بألا تفعلوا هذا في آلات البنوك الحقيقية التي في الشوارع ! أكررُ تنبيهكم . هو يكررُ كلامه ليخالفوه لا ليطيعوه ، طلابه يعرفونه جيدا .

بعد ثلاثة أيام ، نشرت الصحف المحلية المشكلة المتفاقمة في مدينة ماغا المجاورة لموزمبيق بأن آلات الصرف لا تقبلُ الدولار أخذا وصرفا .

لم يعلمْ أحدٌ بتجربة كلية الحاسب الآلي .

كل الطلاب أخذوا الدرجة الكاملة في التجربة .

وصارت المدن الأخرى تشتكي أيضا ، ومنعتْ بعض الدول بنكها المركزي التعامل بالدولار .

ضجيج وسقوط في أسهم سوق العملات .

اضطربت المضاربة في العملات النقدية على مستوى استراليا وأوروبا ثم لحقتها آسيا وأفريقيا

صارت كل دولة تريد أن تضع عملتها المحلية بدلا من الدولار كعملة عالمية . توقفت السفن في المحيطات .

البرنامج المنتشر الذي ينسخ نفسه في الآلات الأخرى لا يسمح إلا بعملة موزمبيق - **كان هذا اتفاق الطلاب على أن تكون العملة اسم مدينتهم - جعلوا نصفها الأول من كلمة موزمبيق (موز) لينزلق الدولار .**

ارتفعت عملة موزمبيق ، بعد أن كانوا يحرقونها للتدفئة ، حتى صار الناس يجمعون رماد الدولار الموزمبيقي الذي أحرقوه عسى أن يعيدوا ما أحرقوه.

سقط الدولار في أوروبا . كل الدولارات صارت رمادا .

وبدأ يتداعى الدولار سريعا في القارات الأخرى ؛ لأن الناس تركوه .

واضطراب في بنوك سويسرا وبنوك العالم . كساد عالمي وسقوط الذهب والعقار واضطراب في بيع النفط العالمي، و امتلأت الصحف والقنوات الفضائية بالأخبار العاجلة وحالات الموت المفاجئة وارتفاع معدلات الانتحار .

وعصابات المافيا ، وعصابات الدول ورؤوسائها ومهربو المخدرات في اجتماعات سرية عاجلة ؛ لأن في سقوط الدولار سقوطهم . كانوا يدفعون مشترياتهم بطباعة الدولار طبعات جديدة للدول الأخرى وليس من الخزينة . كانوا يعبثون باقتصاديات الدول دون أية تكلفة على اقتصادهم سوى تكلفة الورق والحبر بمطبعتهم.

دخلَ الأستاذ ربيع القاعة وسأل طارق : أين وثيقة التوقيع ؟ ثم جال ببصره على جميع الطلاب قلت لكم لا تستخدموا البرنامج في آلات الصرف الحقيقية !

ابتسم الطلاب : وسألوا : هل تريد أن نجرب تجربة جديدة ؟

ابتسم المعلم : أفكرُ أن أجيء بمتخصصٍ في المفاعلات النووية !

جميع الطلاب : لا لا لن نفعل هذا ، ابتسم الجميع .

أتعرفون ماذا فعلتم أيها المجرمين : لم تبرمجوا ألات الصرف ، بل أعدتم برمجة البشر . نحن مُبرمَجَون على الدولار ، فغيرنا الكود فقط .

لم يعلم أحدٌ من قام بالتجربة ، وضاعَ المتهم والدولار .

محى طارق جميع التوقيعات ، ووضع بدلا منها آثار خطوات الدجاج . غطَّسَ أصابعَ دجاجةٍ في الحبر ، ووقعَ بها الميثاق ثم جعلَ الميثاقَ لوحةً فنية على جدار القاعة .

الميثاق : شخبطة دجاج كمواثيق الدول القوية على الضعيفة .

كان تعليق الأستاذ على اللوحة : يا طارق لا تتركْ مواد قسم القانون الاختيارية ، ولا تحتاج في تغيير العالم قنبلةً نووية ، يكفي أنْ تغيرَ آلة الصرف . وأشكرك أن نصحتَ الطلاب بتغيير مدخراتهم من الدولار إلى عملة أخرى قبل تنفيذ العملية . قال له طارق : تلميذك يا أستاذ الأساتذة .

في المحاضرة التالية رسمَ الأستاذ ربيع بسرعةٍ لطلابه على السبورة قبل خروجه من القاعة شبكة عنكبوت .
وكتب : ربما ترونه شكلا رائعا ، لكنه نظام ضعيف ، ثم خطَّ خطَّاً وسط عبارته بالقلم الأحمر :

~~هل رأيتم كيف تهاوى النظام الاقتصادي العالمي~~ بسطرِ كودٍ برمجي ؟! . نحنُ في أسْرٍ وعَبَثٍ عالمي؟! . لم يضعْ الأستاذ ربيع خطا على كلمته الأخيرة لئلا يلتبسَ المعنى على طلابهِ .

____

انتهى